أبو العلاء المعري

٣٦٣ ـ ٤٤٩ هـ

سيرته :

هو أبو العلاء أ[illegible]ن عبدالله بن سليمان . ولد يوم الجمعة لثلاث ايام مضت من شهر ربيع الاول سنة ٣٦٣ الهجرة بمعرة النعمان القريبة من حلب . من اسرة عربية يرجع نسبها الى قبيلة تنوخ اليمانية . قال ابن العديم : « وتنوخ اكثر العرب مناقب وحسباً . ومن أعظمها مفاخر وأدباً . فيهم الخطباء العظماء . والبلغاء الشعراء »(١٠٨٦) . وكانت أمه بنت محمد بن سبيكة من بيت مشهور من بيوتات حلب .

كانت أسرته مليئة بالأمجاد من قضاة وحكّام ورجال ثروة . فأبوه من العلماء وجده وأبو جده تولوا قضاء المعرّة . وبقي القضاء في بني اخيه الى أن دخلها الفرنج سنة ٥٩٢ للهجرة . وكان له أخوان شاعران هما أبو الهيثم عبدالواحد . وأبو المجد محمد . وأورد ياقوت الحموي اسماء الشعراء المشهورين من ابناء اسرته مع نماذج من شعرهم (١٠٨٧).

حُرم أبو العلاء من نعمة البصر وهو في الرابعة من عمره بعد اصابته بمرض الجدري وكانت لهذه الصدمة اثر كبير في فكره وسلوكه طيلة أيام عمره . وقد أشار في احدى رسائله الى عماه . فقال : « وقد علم الله ان سمعي ثقيل . وبصري عن الابصار كليل . قضي عليّ وأنا ابن أربع . لا أفرّق بين البازل والرّبع . ثم توالتْ محني . فأشبه شخصي العود المنحني »(١٠٨٨) .

كان والده المعلم الاول له . اذ رسم له طريق الدرس وتحصيل العلم . وأقرأه القرآن . وعلّمه النحو واللغة والأدب . ثم تتلمذ على جماعة من علماء المعرة مثل أبي بكر محمد بن مسعود النحوي ويحيى بن مسعر التنوخي . وانتقل الى حلب وبها اخواله من آل سبيكة من أصحاب الثراء والسخاء . فاتصل بمحمد بن عبدالله بن سعد النحوي راوية أبي الطيب المتنبي . والتقى بتلاميذ ابن خالويه وابن جني واستمع الى ماكانوا يرددون من علوم في اللغة والادب والصرف . وكذلك اتصل

(١٠٨٦) الانصاف والتحري ص ٤٨٩ (ضمن كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء) .

(١٠٨٧) معجم الادباء ١ : ١٦٣ ـ ١٦٩ .

(١٠٨٨) معجم الادباء ١ : ١٩٨ . البازل : البعير في تاسع سنيه . الربع : الفصيل .

بتلاميذ الفارابي وتلقف منهم علوماً في الفلسفة . وبعد عشر سنوات من اقامته بحلب ينهل من موارد المعرفة انتقل الى انطاكية واتصل بعلمائها وتردد على مكتباتها . ثم بارحها الى اللاذقية واستمع فيها الى الذين كانوا يتدارسون العلوم الدينية والمعارف الفلسفية . ومنها عاد الى مسقط رأسه معرّة النعمان .

ولما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره قام برحلة الى بغداد في أواخر سنة ٣٩٨ للهجرة ودخلها في اوائل سنة ٣٩٩ للهجرة . وأقام فيها سنة وسبعة أشهر ليستزيد من طلب العلم ويستكثر من شيوخه على عادة رجال عصره ويبتعد عن الحالة السياسية السيئة التي كانت عليها الشام آنذاك وبعد أن حقّق غايته في مراجعة خزائن الكتب ومشافهة العلماء والادباء قرّر العودة الى معرة النعمان .(١٠٨٩) ولعل عسر اليد . لأنه كان أبياً لا يقبل معونة من أحد اضافة الى ما وصل اليه من خبر مرض امه . عجل في هذه العودة . أمّا ما يرويه ياقوت الحموي أن لشريف المرتضى أهانه وأمر بطرده من مجلسه فلا يطمئن الى صحته .(١٠٩٠) وننقل هنا ماقاله المعري في رسالته الى خاله من اكرام البغداديين له وحزنهم على فراقه : « ورعاية اللهِ شاملةٌ لمن عرفتُهُ ببغداذ . فلقد أفردوني بحسنِ المعاملةِ . وأثنوا عليّ في الغيبة . واكرموني دون النظراءِ والطبقةِ . ولما آنسوا تشميري للرحيل . وأحسوا بتأهّبي للظعن أظهروا كسوفَ بالٍ . وقالوا من جميل كلّ مقالٍ . وتلفعوا من الأسفِ ببردِ قشيبٍ . وذرفت عيون اشياخٍ شيبٍ » . وقال في ختام رسالة أخرى : « ويحسن اللهُ جزاء البغداديين . فلقد وصفوني بما لا أستحقّ . وشهدوا لي بالفضيلة على غير علمٍ . وعرضوا عليّ أموالهم عرضَ الجدّ . فصادقوني غير جذلٍ بالصفاتِ . ولا هش الى معروف الأقوام . ورحلتُ وهم لرحيلي كارهون . وحسبي اللهُ وعليه يتوكل المتوكلون »(١٠٩١) .

اختار بعد عودته العزلة الا عن تلاميذه وقاصديه . وسمى نفسه « رهين المحبسين » . اي العمى ولزوم البيت . وقال في ذلك :(١٠٩٢)

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن النبأ النبيثِ(١٠٩٣)
لفقدي ناظري . ولزوم بيتي وكونِ النفسِ في الجسدِ الخبيثِ

(١٠٨٩) ينظر : دار السلام في حياة ابي العلاء ص ٢٨

(١٠٩٠) ينظر : معجم الادباء ١ : ١٦٩

(١٠٩١) رسائل ابي العلاء المعري ١ : ٢٠٣ ، ٢٢٢

(١٠٩٢) اللزوميات ١ : ٢٤٩

(١٠٩٣) النبيث : الشرير وهو ايضاً من نبث التراب : اخرجه ونبث عن السر : بحث عنه .

وبذلك أضاف سجناً ثالثاً . وهو الحياة ذاتها اي كون نفسه محبوسة في جسده ويبدو أن صدقه وصراحته خلقا له مشكلات واستفزا الكثيرين من حساده لرميه بالتهم وتحريض الناس عليه . لذا آثر العزلة والاعتكاف في منزله (١٠٩٤).

لبث تسعاً واربعين سنة في محبسه بمعرة النعمان . لم يغادره الاّ مرة واحدة لم تتكرر . حين حمله قومه على الخروج ليشفع لهم لدى أسد الدولة صالح بن مرداس صاحب حلب وكان قد خرج الى المعرّة ليخمد حركة عصيان من أهلها (١٠٩٥).

جلس في داره على طريقة الفلاسفة المتقشفين . منصرفاً الى التأليف والتصنيف والتدريس . قال ابن العديم : « ومازالت حرمةُ ابي العلاء في علاء . وبحر فضله مورداً للوزراء والامراء . وما علمتُ أنّ وزيراً مذكوراً . وفاضلاً مشهوراً . مرّ بمعرة النعمان في ذلك العصر والزمان . الاّ وقصده واستفاد منه . أو طلب شيئاً من تصنيفه . أو كتب عنه »(١٠٩٦)

وطال به العمر . وناء بأثقال الشيخوخة . ووهن جسده . وتخاذلت اعضاؤه . فما عاد يستطيع النهوض الاّ بمعاونة سواه . وعجز عن القيام للصلاة فانما يصليها قاعداً .(١٠٩٧) وفي شهر ربيع الاول سنة ٤٤٩ للهجرة خبث تلك الجذوة تاركاً وصيته . ان تكتب على قبره :

هذا جناهُ أبي عليّ وما جنيتُ على أحد

وشيعوه الى مثواه الأخير في حشد غفير من أهل العلم والأدب . ورثاه اربعة وثمانون شاعراً .(١٠٩٨)

آثاره :

كان أبو العلاء عالماً جليلاً واديباً فاضلاً . ذكر ابن العديم منْ قرأ عليه وروى عنه من العلماء والادباء والمحدثين . وقال معقباً على اسمائهم : « هؤلاء كلهم أئمة وقضاة وعلماء اثبات . وأدباء رواة وحفّاظ ثقات . رووا عن أبي العلاء وكتبوا عنه .

(١٠٩٤) ينظر : الفكر الديني عند أبي العلاء المعري ص ٦٦

(١٠٩٥) تنظر التفاصيل في كتاب : مع أبي العلاء في رحلة حياته ص ١٧٥ ـ ١٧٩

(١٠٩٦) الانصاف والتحري ص ٥٦

(١٠٩٧) مع أبي العلاء في رحلة حياته ص ٢٧٠

(١٠٩٨) معجم الأدباء ١ : ١٧١ .

واخذوا العلم واستفادوا منه . لم يذكره أحد منهم بطعن . ولم ينسب حديثه الى ضعف ولا وهن »(١٠٩٩)

ان مصنفات ابي العلاء كثيرة ونافعة . قال ابن فضل الله العمري : « اني وقفتُ على جملةٍ من مصنفات عالم معرة النعمان . أبي العلاء احمد بن عبدالله بن سليمان المعري . فوجدتها مشحونةً بالفصاحة والبيان . مودعةً فنوناً من الفوائد الحسان . محتوية على أنواع الآداب . مشتملة من علوم العرب على الخالص واللباب . لا يجد الطامح فيها سقطةً . ولا يدرك الكاشح فيها غلطة »(١١٠٠) . وقد أحسن أحد الباحثين المعاصرين في الالمام بأسماء كتبه ورسائله .(١١٠١) واليك المطبوع منها : رسالة الصاهل والشاحج . رسالة الهناء . رسالة الغفران . رسالة ابن القارح . رسالة الاخرسين . رسالة الملائكة . رسائل ابي العلاء المعري . رسالة في تعزية أبي علي الرجال . زجر النابح . عبث الوليد . الفصول والغايات . مُلقى السبيل . سقط الزند . اللزوميات . الدرعيات . شرح ديوان ابن أبي حصينة ....

شعره :

عرف أبو العلاء بحدة الذكاء . وقوّة الحافظة . وتوقُّد الخاطر . وكثرة الحفظ . وسرعة البديهة . قال ابن العديم : « كان ابو العلاء على غاية من الذكاء والحفظ قيل له : بمَ بلغت هذه الرتبة في العلم ؟ فقال : ماسمعتُ شيئاً الاّ وحفظته . وما حفظتُ شيئاً فنسيته »(١١٠٢) ويروى عن الشاعر ابي الحسن علي بن مأمون المصيصي انه قال : « لقيتُ بمعرة النعمان عجباً من العجب : رأيتُ أعمى شاعراً ظريفاً . يلعبُ بالشطرنج والنرد . ويدخل في كل فنٍ من الجد والهزل . يكنى ابا العلاء »(١١٠٣)

كان ابو العلاء موهوباً منذ الصغر . يروى انه نظم الشعر وهو في الحادية عشرة من عمره ونيف على الثمانين وماسلاه . وقد توزّع شعره في « سقط الزند » و « اللزوميات » و « الدرعيات » . ويعدّ سقط الزند ديوان شعره . واللزوميات ديوان

(١٠٩٩) الانصاف والتحري ص ٥٢٠

(١١٠٠) مسالك الابصار (ضمن كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء) ص ٢١٨

(١١٠١) كشاف مصادر دراسة ابي العلاء المعري ٢٩٧ ـ ٣٠٥ .

(١١٠٢) الانصاف والتحري ص ٥٥١

(١١٠٣) تتمة يتيمة الدهر ١ : ٥

فلسفته وحكمته . أما الدرعيات فهي قصائد في وصف الدرع . ولعله رمز بها الى ماكان يترتب على قومه من وقاية انفسهم من الأعداء (١١٠٤) .

انّ شعره في سقط الزند يمثل نتاجه في سني شبابه وأيام قوته وفيه قصائد مما نظمه ايام اعتكافه في منزله بمعرة النعمان وأرسل به الى بعض اصدقائه ببغداد . وقد سمّاه بسقط الزند تشبيهاً بالشرر الذي يتطاير من الزند . وفي هذا الديوان اغلب موضوعات الشعر المعروفة ماعدا الهجاء والعبث والمجون والخمر والغزل بالمذكر . وهي أغراض كانت شائعة في عصره . ولكن أخلاقه وسلوكه وتربيته منعته من النظم فيها .

أما لزومياته فأكثرها مقطوعات نظمها بعد عودته من بغداد .(١١٠٥) تناول فيها الحديث عن مشكلات الحياة وانتقادها . وبث فيها آراءه الخاصة . وانطباعاته الشخصية . وتأملاته الذاتية . ونظراته الفلسفية في الكون والعمران . وقد سميت باللزوميات لأنه ألزم نفسه بأربع كلف : التزم في قوافيها حرفاً لا يلزم قبل حرف الروي . ونظم حروف المعجم كلها مرتبة . واستوفى في كل حرف الحركات الثلاث والوقف . ورتّب الاوزان في كل فصل من فصولها على ترتيب الدوائر والبحور عند العروضيين .

ان القاريء في ديوانه « سقط الزند » يجدُ شعراً في المديح . وهو قليل لا يشكل غرضاً بارزاً . لم يسخره للتكسب وطلب الجاه . بل العكس من ذلك . فانه انتقد الشعراء المتكسبين الذين يلهثون وراء المنفعة . وعدّ مديحهم كذباً ورياءً . فقال :(١١٠٦)

لاخير في جزل العطاء . أتى رجلاً بأنّ كلامه جزلُ
يرجو . فيمدح غير مرتقب رباً . وكلّ مقاله ازلُ(١١٠٧)
شهرت سيوف القول طائفة كذبٌ . وأفضل منهم العزلُ

ويحتل الرثاء مكانةً بارزة في شعره . وهو يتسم بالصدق والحزن العميق . كما نلاحظ ذلك في رثاء والدته . كانت توفيت قبل قدومه من العراق بمدة يسيرة . فانه

(١١٠٤) ينظر : النقد الاجتماعي في آثار ابي العلاء المعري ص ١٩٨ ـ ٢٠٧ .
(١١٠٥) ينظر : المعري وجوانب من اللزوميات ص ٦٤ ، المعري ذلك المجهول ص ٨٩ ـ ١٠٤ .
(١١٠٦) اللزوميات ٢ : ٣٧٨ وينظر الى نقده للمتكسبين من الشعراء في : رسالة الغفران ص ٤١١ .
(١١٠٧) الازل : الكذب .

يشعر بحاجة اليها . ويرى نفسه كالرضيع لم يصحبها ولم يتمتع بحياتها على الرغم من انها مضت وهو كهل . ويتمنى لقاءها . ويتساءل عن ذلك اللقاء . ومتى يتم : (١١٠٨)

مضت وقد اكتهلت فخلتُ أني رضيع مابلغتُ مدى الفطام
فيارکب المنون ، أما رسولٌ يبلغ روحها أرجَ السَّلام
سألتُ : متى اللقاءُ ؟ فقيل حتى يقومَ الهامدون من الرِّجام (١١٠٩)
فليت أذينَ يوم الحشر نادى فأجهشتِ الرِّمامُ الى الرمام (١١١٠)

وقد سبق لأبي العلاء أن فجع بوفاة والده ، فرثاه بقصيدة تطفح بالأسى والأنين . مثل قوله . وهو يحمل الحزن في فؤاده ويطوى المسرة جانباً : (١١١١)

فهل أنتَ . ان ناديتُ رمسك سامع نداء ابنك المفجوع . بل عبدك القنِ (١١١٢)
سأبكي اذا غنّى ابن ورقاءَ بهجةً وان كان مايعنيه ضدّ الذي أعني
وأحمل فيك الحزن حياً . فان أمتْ وألقكَ . لم أسلك طريقاً الى الحزن
وبعدك لا يهوى الفؤادُ مسرةً وانْ خان في وصلِ السرور فلا يهني (١١١٣)

ونجد في شعره فخراً . ولاسيما بنفسه وبمواهبه العلمية . وخير شاهد على ذلك قصيدته اللامية المشهورة التي يقول في مطلعها : (١١١٤)

ألا في سبيلِ المجدِ ما أنا فاعلُ عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلُ
وفيها يقول مفاخراً متحدباً

وقد سار ذكرى في البلادِ فمنْ لهم بإخفاءِ شمسٍ ضوؤها متكاملُ ؟
يُهمُ الليالي بعضُ ما أنا مضمرٌ ويثقلُ رضوى دونَ ما أنا حاملُ
وإنّي . وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما لم تستطِعْهُ الأوائلُ
وأغدو . ولو أنَّ الصباحَ صوارمٌ وأسري ولو أنَّ الظلامَ جحافلُ

(١١٠٨) سقط الزند ص ٣٩
(١١٠٩) الرجام : القبور
(١١١٠) الأذين : المؤذن ، أجهشت : فزعت الى غيرها . أي اجتمعت العظام البالية وتلاقت
(١١١١) سقط الزند ص ١٧
(١١١٢) عبد القن : العبد الخالص العبودية
(١١١٣) يهني : يدعو عليه بعدم الهناء والسرور .
(١١١٤) سقط الزند ص ١٩٢ .

وإنّـي جوادٌ لـم يُـحـلَّ لـجامُـهُ ونـضوّ يـمانٍ أغـفـلـتْـهُ الـصـياقـلُ
وإنْ كان في لبسِ الفتى شرفٌ له فما السَّيفُ إلاّ غمدُهُ والحمائلُ
ولي منطقٌ لم يرضَ لي كُنْهَهُ منزلي على أنني بينَ السّماكينِ نازلُ
لدى موطنٍ يشتاقُه كلُّ سيدٍ ويـقـصرُ عـن إدراكـهِ المـتـناولِ

ولم يتخلّف أبو العلاء ـ وإن كان ضريراً ـ عن الوصف فله شعر رائق يشارك فيه بأحاسيسه بعض مظاهر الطبيعة الجميلة . ويتعاطف معها بكل جوارحه . ويبرزها في صور مرئية تبهر الناظر وتعجبه . مثل قوله وهو يشدو بذكريات ليلةٍ طريفة :(١١١٥)

رُبَّ ليلٍ كأنه الصُبحُ في الحسـ ـنِ . وإنْ كانَ أسودَ الطيلسانِ
قد ركضنا فيه إلى اللهو لما وقـفَ الـنـجـمُ وقـفـةَ الـحـيرانِ
وكأني ما قلتُ والبدرُ طفلٌ وشـبابُ الـظـلـماءِ في عـنـفوانِ :
ليلتي هذه عروسٌ من الزنـ ـج عـلـيـهـا قلائدٌ مـن جُـمانِ
هربَ النومُ عن جفوني فيها هَرَبَ الأمنِ عن فؤادِ الجبانِ
وكأنَّ الـهـلالَ يـسـهوي الـثُريا فـهـمـا لـلـوداعِ مـعـتـنـقـانِ
وسهيلٌ كوجنةِ الحِبِّ في اللو نِ وقلبِ المحبِّ في الخفقانِ
يُسرعُ اللمحَ في احمرارٍ كما تُسـ ـرعُ في الـلـمـحِ مـقـلـةُ الـغـضـبانِ

وشارك أبو العلاء في شعر الغزل . وقد استأثر بعضه بقصائد كاملة . ولا نعلمُ من أخباره. ما ينم عن حبه لامرأة ما. وليس في اثاره اشارة من قربٍ أو بعدٍ. الى انه عانى التجربة حسياً في الواقع المادي . ولعل أن يكون غزله من الشعر الرمزي الذي يُخفي وراء ظاهر لفظه دلالةً مستورة على أمنيات تعلق بها في شبابه الطامح. كأن تكون هذه الحبيبة رمزاً إلى الدنيا . أو إلى المجد . أو إلى نعمة البصر التي حرم منها(١١١٦) ... مثل قوله :(١١١٧)

حيِّ مِن أجلِ أهلهنَّ الديارا وابكِ هنداً . لا النُؤيَ والأحجارا
هي قالتْ لما رأتْ شيبَ رأسي وأرادتْ تـنـكـراً وازورارا :
أنا بدرٌ . وقد بدا الصُبحُ في رأ سِكَ . والصُبحُ يطردُ الأقمارا
لستِ بدراً . وإنما أنتِ شمسٌ لا تُرى في الدُجى . وتبدو نهارا

(١١١٥) سقط الزند ص ٩٤ .
(١١١٦) ينظر : مع أبي العلاء في رحلة حياته ص ٦٧ ـ ٧١ .
(١١١٧) سقط الزند ص ٢٠٧ .

ولا بدّ من الاشارة الى أن شيخ المعرّة نظر في شؤون الناس وأمر المجتمع آنذاك ، وقد أقضّ مضجعه كما أقضّ مضجع المتنبي من قبلُ الوضعُ السياسيُّ المتدهورُ وغيابُ السلطة عن أصحابها الشرعيين . وقد ربط أحد الباحثين بين آمال المتنبي وآمال المعري في قوله : « والمتنبي كان جباراً تام الرجولة . وأبو العلاء كان كفيف البصر . فأقعدته هذه العلّة عن السير في السبيل الذي طرقه المتنبي لبلوغ أمانيه . وإن كانت المرامي البعيدة والأوطار الكبيرة هي هي عند كليهما . وليس ذلك بغريب في عصر كان الناس فيه في حاجةٍ إلى « رجل » . بل الأصح إلى « رجل عربي » صحيح العروبة . يدرأ عن الإسلام الفرسَ والروم والديلمَ »(١١١٨) .

لقد كانت لأبي العلاء رغبة صادقة في إصلاح المجتمع وقيام حكم عادل مطهر من الظلم والعدوان . يتصرف القائمون على شؤون الرعية بعقل راجح . وها هو ذا يتساءل(١١١٩) :

متى يقومُ إمامٌ يستقيدُ لنا فتعرفَ العدلَ أجيالٌ وغيطانُ ؟

ويقول(١١٢٠) :

يرتجي الناسُ أنْ يقومَ إمامٌ ناطقٌ في الكتيبة الخرساءِ(١١٢١)
كذبَ الظنُّ لا إمامَ سوى الـ ـعقلِ مشيراً في صبحِهِ والمساءِ

ويغضب من أولئك الذين يسوسون الناس بغير عقل(١١٢٢) :

يسوسون الأمورَ بغيرِ عقلٍ فينفذُ أمرهُم ويقال : ساسهْ
فأفٍ من الحياة . وأفٍ مني ومن ومنِ رئاستُهُ خساسهْ

لقد كان أبو العلاء يعتزُّ بالعقل . ويُحكّمه في كل مشكلةٍ . ويرجع إليه في كل معضلةٍ . ويتمنّى أنْ يعيش الناس سعداء بعيدين عن الأذى(١١٢٣) :

ما أحسنَ الأرض لو كانت بغير أذًى ونحنُ فيها . لذكرِ الله . سكّانُ

(١١١٨) المتنبي والمعري : ابراهيم ناجي ، الهلال لسنة ١٩٣٨ ، ص ٩٣٩ .
(١١١٩) اللزوميات ٢ : ٥٠٢ .
(١١٢٠) اللزوميات ١ : ٦٦ .
(١١٢١) الكتيبة الخرساء : التي لا يسمع فيها صوت لكثرة الجلبة
(١١٢٢) اللزوميات ٢ : ٣٥ .
(١١٢٣) اللزوميات ٢ : ٥٠٠ .

إنه أراد لمجتمعه الخير والسعادة . والعدل والأمان . والبعد عن الجهل والضلال . ولذلك كثر شعره في النقد الاجتماعي الذي سبق إليه أبو الطيب المتنبي(١١٣٤) .

وكلمة أخيرة نقولها : إنّ نظمه صورة واضحة لحياته وتأملاته . رسمها بصدق وأمانة وصراحة . وشعره قبل الغزلة المتمثل بسقط الزند قريب من شعر الشعراء السابقين المجوّدين في الصياغة والتنسيق والصورة الشعرية . ولا عجب حين يقول ابن حجر : « وأشعاره في المدح والغزل والرثاء التي في سقط الزند في نهاية الجودة . وأمّا في لزوم مالا يلزم فمتوسط »(١١٣٥)

أما شعره في عُزلته المتمثل باللزوميات الذي تناول فيه موضوعات عامة شغلت عقول الناس آنذاك فيغلب عليه التصنيع ويفتقر إلى البهجة الفنية . وهو صعبُ الأسلوب . كثيرُ الغريب والشاذ من الألفاظ . محشوّ بالمصطلحات العلمية والاشارة إلى اشخاص أو أحداث تاريخية .. وقد انتقد طريقته عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي . فقال : « وليس يغتفر للشاعر اذا نظم على هذا الفن لأجل ما ألزم نفسه ما لا يلزمه شيء من عيوب القوافي . لأنه إنما فعل ذلك طوعاً واختياراً من غير إلجاء ولا إكراه . ونحن نريد الكلام الحسن على أسهل الطرق وأقرب السبل . وليس بنا حاجة إلى المتكلّف المطّرح . وإن ادعى علينا قائله انّ مشقةً نالته وتعباً سرّ به في نظمه »(١١٣٦) . ومن الدارسين المحدثين الذين وجهوا نقداً للزوميات الدكتور شوقي ضيف . اذ يقول : « إن أبا العلاء لم يكن يعنى بتجويد شعره وتحبيره في اللزوميات. فهو لا يعطيه المهلة الكافية للصقل والانتخاب والتنقيح . ثم التأليف والتنسيق . فخرج شعره مهلهلاً ضعيف النسج ليس فيه شيء من خبكة التعبير ولا جمال التصوير إلا في القليل الأقل . وليس هذا فقط هو كل الأسباب . فهناك سبب آخر ربما كان أهم من السبب السابق . وهو الطريقة التي أخرج بها أبو العلاء لزومياته . أو بعبارة أدق الغاية التي أرادها للزومياته . فقد كان ـ فيما يظهر ـ يريد ان يخرجها في شكل خُطب وعظ وإرشاد : يقول في مقدمتها : « إنها تمجيد لله الذي شرّف عن التمجيد ووضع المنّ في كل جيد . وبعضها تذكير للناسين وتنبيه للرقدة الغافلين وتحذيرٌ من الدنيا » . فهو يقصد بها إلى الوعظ . وهي لذلك تمتليءُ بما تمتليءُ به أساليب الوعظ من التكرار الممل . ومن أجل ذلك كنا نشعر

(١١٣٤) ينظر مع أبي العلاء في سجنه ص ١٥١ .

(١١٣٥) تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢١٨ .

(١١٣٦) سر الفصاحة ص ١٧٣ .

حين قراءتنا اللزوميات بملل وسأم شديد . لأن الشاعر يتنقل بين أفكار يبديء فيها ويعيد . وقد أخرجها في أسلوب واه . ليس فيه جمال فني ولا طرافة فنية إلاّ قليلاً »(١١٣٧) .

(١١٣٧) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٣٩٥ .